ظاهرة الإبدال في القراءات القرآنية وأثرها في الصناعة المعجمية

المخصّص لابن سيّده أنموذجا

ا.جيلالي الحيرش

قسم العلوم الإسلامية.

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

الملخص

لا تكاد الظواهر اللغوية التي عرفتها اللغة العربية تنفصل عن القراءات القرآنية، فما من مبحث لغوي إلاّ وكان للقراءات بنوعيها الشاذ والمتواتر حضور فيه، ولمّا كانت ظاهرة الإبدال في اللغة من أهمّ المباحث اللغوية التي عالجتها المعاجم العربية فإنّ القراءات القرآنية كانت شاهدا مهمّاً لجأ إليه المعجميون للدلالة على تلك الظاهرة، ويعتبر المخصص لابن سيده من أهمّ هذه المعاجم لما حواه من قراءات قرآنية، لهذا كان هدف الباحث في هذه المداخلة تتبع هذه الظاهرة في المخصص، مركزاً على نماذج استشهد فيها ابن سيده بالقراءات بقسمَيْها متبعا ذلك بالتحليل والمناقشة، ومقارنة آراء ابن سيده بآراء غيره من المفسرين واللغويين، بُغية معرفة إلى أيّ مدى ساهمت القراءات في التمثيل لظاهرة الإبدال.

كلمات مفتاحية: القراءات- الإبدال- المعجمية- المخصص- ابن سيده

abstract

Wecan no longer separate Arabic phenomenon linguistics with coranic recitations. That's why when we check in all Arabic researches attendance of coranic recitations with their different kinds is already exist.

One of these phenomenon's in the translation of "El Ibdal" that Arabic dictionaries deal with it, besides coranic recitations were very important witness.

For instance "EL Mokhasas" of "IbnSidah" is one of the most dictionaries included coranic recitations.

This study chases this phenomenon in "el Mokhasas" and emphasizes on examples and follows that with analysing comparison and discussion with other interpreters and linguist.

The aim of this study is to find out in which ways coranic recitations share in clarify the phenomenon of translation of letters "El Ibdal" .

توطئة:

تعد ظاهرة الإبدال من الظواهر البارزة في اللغة العربية، إذْ تناولها العلماء العرب بالدرس والتحليل عندما أخذوا بجمع اللغة ومفرداتها فوجدوا هذه الظاهرة واعتنوا بها، فجمعوا ما تمكنوا من جمعه من ألفاظها وأطلقوا عليها الإبدال، ومن الذين اعتنوا بهذه الظاهرة اعتناءً خاصّاً الأصمعي فألف كتاباً سمّاه (القلب والإبدال)، وتبعه ابن السكيت وسمّى كتابه (القلب والإبدال)، أمّا الزجاجي فقد ألف كتاباً سماه (الإبدال والمعاقبة والنظائر)، ومن بعدهم أبو الطيب اللغوي ألّف كتاباً سماه (الإبدال)، وجاء من بعده الكثير من العلماء الذين أفردوا أبواباً واسعة لدراسة هذه الظاهرة.

الإبدال لغة: جاء في التاج: بدل الشيء وتبدله، وبه، واستبدله، وبه، وأبدله منه بغيره وبدله منه؛ اتخذه منه بدلا، قال ثعلب: يقال: أبدلت الخاتم بالحلقة؛ إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه، وبدلت الخاتم بالحلقة؛ إذا أذبته

وسويته حلقة، وبدلت الحلقة بالخاتم: إذا أذبتها وجعلتها خاتما، قال: وحقيقته أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى، والجوهرة بعينها، والإبدال: تنحية الجوهرة، واستئناف جوهرة أخرى، يقول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان:70] وجاء في المخصص: حد البدل: (وضع الشيء مكان غيره)[1].

اصطلاحا: لقد اختلف علماء اللغة في تحديد مصطلح للإبدال؛ وذلك تبعاً لاختلافهم في تحديد شروطه ونحن نذكر بعضا من هذه التعاريف.

عرفه ابن الحاجب بأنّه جعل حرف مكان غيره، ويعرف باشتقاقه كـ (تراث) و(أجوه)، وبقلّة استعماله كـ (الثّعالي)، وبكونه فرعا وهو زائد كـ (ضويرب)، وبكونه فرعا وهو أصل كـ (مويه)، وبلزوم بناء مجهول نحو (هراق)، و(اصطبر)، و(ادّارَكَ) وحروفه (أنصت يوم جدّ طاه زلّ).[2]

وعرفه الجرجاوي: بأنّه جعل حرف مكان حرف آخر مطلقًا، فخرج بقيد المكان العوض، فإنّه قد يكون في غير مكان المعوض منه كتاء "عدة" وهمزة "ابن"، وبقيد الإطلاق القلب، فإنّه مختص بحروف العلة[3].

وعرفه صاحب التاج فقال: (أن يوضع لفظ موضع لفظ، كوضعك الواو موضع الياء، في: موقن، والياء موضع الهمزة، في: ذيب، لا ما يبدل لأجل الإدغام، أو التعويض من إعلال، وأكثر هذه الحروف تصرفا في البدل حروف اللين، وهي يبدل بعضها، ويبدل من غيرها، كما في العباب)[4].

أما عند بعض الباحثين المحدثين فكان تعريفه كالتالي:

تعريف إبراهيم السامرائي: عرفه إبراهيم السامرائي بقوله: إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة، وهكذا تشترك الكلمتان، أو الكلمات بحرفين أو أكثر ويبدل حرف منها بحرف آخر قد يكون قريبا منه في نشأته من جهاز النطق، أو قد يشتمل على شيء من خواصه، وقد يكون بعيدا منه.

تعريف عبد الصبور شاهين: (هو إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة، ولا يكون الإبدال إبدالا حقا إلاّ إذا كان بين المبدل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدّة الرّخاوة).[5]

إن استعمال القدماء والمحدثين لألفاظ (وضع، جعل، وإقامة) فيه إيحاء بأن الإبدال هو عمل اختياري من المتكلم، فيما أن الإبدال راجع إلى اختلاف اللهجات؛ فكلّ صوت مبدل ينسب إلى قبيلة من القبائل الناطقة به، ولا دخل للاختيار في هذا النطق، لهذا يرى الباحث أن التعريف الملائم لمصطلح الإبدال هو:

ورود كلمة بحرفين متغايرين متقاربين صوتيا متحدين في المعنى.

---

[1] المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:1، 1417هـ ، 179/4.

[2] الشافية في علمي التصريف والخط، عثمان بن عمر ابن الحاجب الكردي، تح: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة، ط1، 2010 م، ص:93.

[3] شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الجرجاويّ الأزهري المعروف بالوقاد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ- ، 689/2.

[4] تاج العروس، الزبيدي،66/28.

[5] أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1987،1م، 265.

هذا في ما يبدو تعريف للمصطلح، جامع للشروط، مانع لدخول لما لا يعدّ إبدالا ممّا هو في ظاهره إبدال، وذلك مثل الألفاظ المترادفة التي تشابهت في بعض أجزائها، مثل كلمتي (جاسوا، وحاسوا).

ويبيّن ابن سيده في المخصص الفرق بين الإبدال والقلب، وما يقع فيهما من خلط في بعض كتب اللغة فيقول: (والفرق بين البدل والقلب في الحروف أن القلب يجري على التقدير في حروف العلة، ومناسبة بعضها لبعض وشدّة تقاربها فكأن الحرف نفسه انقلب من صورة إلى صورة إذا قلت قام والأصل قَوَمَ؛ فكأنّه لم يؤت بغيره بدلا منه، ولم يخرج عنه؛ لأنّ شدّة المقاربة للنفس بمنزلة النفس فهذا في حروف العلة، فأما في غيرها فيجري على البدل؛ لتباعد ما بين الحرفين فلم يجب أن يجري مجرى ما يتقارب التقارب الشديد، بل وجب فيما تقارب أن يقدر أنّه لم يخرج من التغيير عنه فلذلك أجري على طريقة القلب، فأما ما تباعد فيقتضي الخروج عنه في التغيير وهذه الفروق الدقيقة بين هذه المعاني لا تكاد تجد من يقف عليها ويذاكرك بها).[1]

واختلف اللغويون في بيان عدد حروف البدل إذ عدها بعضهم (أحد عشر) صوتاً هي: (الهمزة، والألف، والياء، والواو، والتاء، والدالّ، والطاء، والميم، والجيم، والهاء، والنون) وهي عند بعضهم الآخر اثنا عشر صوتاً، يجمعها في قوله (طال يوم انجدته)، وهناك من يعدها أربعة عشر صوتاً، وهناك من يعدها تسعة أصوات جمعها في قوله (هدأت موطياً)، وهي عند ابن سيده ثلاثة عشر حرفا هي (الهمزة، والياء، والواو، والميم، والتاء، والنون، والألف، والهاء، والطاء، والدالّ، والجيم، والصاد، والزاي).

أقسام الإبدال: ثم ينبغي التمييز بين أنواع الإبدال التي تنقسم إلى قسمين، الإبدال القياسي، والإبدال السماعي.

أ) **الإبدال القياسي:** ويسمى الصرفي وهو الإبدال الذي يخضع لقواعد صرفية محكمة لاسيّما في صيغتي (افتعل والافتعال)، فتبدل تاء الافتعال طاءً إذا كان قبلها أحد أصوات الإطباق: (الطاء، والظاء، والصاد، والضاد.(نحو (اضطجع) التي تكون على القياس (أضتجع)، وكذلك إذا كان قبل (التاء) أحد الأصوات المجهورة (الزاي، والذال، والدالّ)، فتبدل)التاء (من صوت مجهور من نحو: (إزدرع)، وقياسها: (إزترع)

ب) الإبدال السماعي: أو اللغوي وهو إبدال اللغويين الذين جمعوه من الألفاظ المتقاربة في أصواتها، والتي لها معنى واحد. ولكي نسمي الظاهرة إبدالا فلا بد من شرطين أساسين هما:

1. لابد من تقارب بين الحرفين في المخرج أو اتحادهما، يقول ابن سيده: (أما ما كان جاريا على مقاييس الإبدال التي أبَنْتُ فهو الذي يسمى بدلا؛ وذلك كإبدال العيّن من الهمزة، والهمزة من العيّن، والهاء من الحاء، والحاء من الهاء، والقاف من الكاف، والكاف من القاف، والفاء من الثاء، والثاء من الفاء، والباء من الميم، والميم من الباء، فأما ما لم يتقارب مخرجاه البتّة، فقيل على حرفين غير متقاربين؛ فلا يسمى بدلا وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق).[2]ومن خلال الشواهد اللغوية الواردة في المعاجم وخاصّة كتاب المخصص؛ يرى الباحث أنّ الاتّفاق في الصفة دون المخرج يعتبر بدلا كذلك؛ ودليل ذلك أنّ ابن سيده جعل (مناص) و(مناض) بدلاً، ومعلوم أن حرف الضاد مخرجه حافة اللسان، بينما الصاد من طرفه، وتجمع الحرفين صفة الإطباق.

2. لابد من اتحاد المعنى بين الكلمتين فإنّ اختلفت الدلالة لم يعدّ ذلك بدلاً[3]. ولقد كان لظاهرة الإبدال جانب مهمّ من العناية في الصناعة المعجمية، ويعتبر المخصص لابن سيده خير ممثل لهذا التوجّه؛ فقد خصص لهذه

---

[1] المخصص، ابن سيده،179/4.

[2] المخصص، ابن سيده،184/4،183.

[3] انظر:كتاب الإبدال، أبو الطيب اللغوي، تحقيق وشرح:عزالدين التنوخي،دمشق،1960، 23/1

الظاهرة بابا مستقلا بسطها فيه بسطا شافياً، فذكر حروف الإبدال، وعلل أسباب الإبدال فيها مُرجعا ذلك إلى ثلاثة أسباب هي: طلب الخفة، وكثرة الاستخدام، ومناسبة الأصوات بعضها البعض، ثم تناول مراتب حروف البدل في القوة والضعف، ثم تناول اللغات التي تبدل فيها السين صادا، ثم عقد بابا لما يجيء مقولا بحرفين وليس بدلا، ثم ختم الباب بما يجري مجرى البدل، كما يضيف ابن سيده شرطا آخر لتحقّق الظاهرة ؛وهو وجود الإبدال في القبيلة الواحدة، أمّا وجوده في قبيلة أخرى فهو لا يعد من قبيل الإبدال عنده.

وقد كان للقراءات القرآنية حضور بارز في توظيفها كشاهد على هذا التغاير الصوتي في المخصص.

وعندما يتناول ابن سيده ظاهرة الإبدال ويستشهد لها بالقراءات القرآنية فإنّ تلك الشواهد تُعرض أحيانا في الباب المخصّص للإبدال، وتعرض أحيانا أخرى مبثوثة في ثنايا الكتاب كشاهد على معنى لغوي وارد على لغتين، وتجد ابن سيده في خلال ذلك نادرا ما ينسب المفردة إلى بيئتها، وأحيانا يرفق ذلك العرْض بالتعليل وأحيانا يكتفي بمجرد الذكر.

المبحث الثاني: نماذج للاستدلال بالقراءات القرآنية على ظاهرة الإبدال في المخصص:

الإبدال بين السين والصاد والزاي:جاء في المخصص: (ثم الصاد تبدل من السين مع الطاء في الصراط؛ لأنّها مع الطاء أعدل من السين، فهي تواخي الطاء بالإطباق والاستعلاء، وتواخي السين بالمخرج، ثم الزاي تبدل من السين في الزراط أيضا؛ لأنّها تواخي الطاء بالجهر، وهي من مخرج السين أيضا)[1]

قرأ قنبل، ورويس، وابن كثير، ويعقوب، وابن محيصن (السراط) بالسين، وقرأه بالصاد نافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، والكسائي، وأبو جعفر، وابن كثير في رواية البزي عنه.[2]

وأما قراءة الزاي الخالصة فهي مروية عن الأصمعي عن أبي عمرو، وهي شاذة غير مقروء بها بخلاف قراءة الإشمام؛ أي إشمام الصاد زايا، فهذه قراءة متواترة سبعية قرأ بها حمزة.

ففي القراءات السابقة حدث التغاير الصوتي بين السن، والصاد، والزاي، والظاهر في أنّ علة هذا التبادل هو التقارب في المخارج، والصافات بين هذه الأحرف الثلاثة.

حرف الزاي: أسناني لثوي، رخو، مجهور، مرقق.

حرف الصاد: أسناني لثوي، رخو، مهموس، مفخم.

حرف السين: أسناني لثوي، رخو، مهموس، مرقق.

فالملاحظ أن هذه الأحرف هي من مخرج واحد وهو أثلة اللسان، وأما الصفات فإنّها تجمع صفة الصفير، إلاّ أنّ حرف الصاد يختلف عن السين في أنّ الأول مفخم والثاني مستفال، وأما حرف الزاي المبدل من السين في القراءة المنسوبة إلى أبي عمرو فإنّ كتب اللغة تكاد تجمع على تخطئة الأصمعي الذي زعم أنّه سمعها من أبي عمرو رغم أنّها لغة منسوبة إلى بعض القبائل العربية.

وقد كان تعليل حدوث الظاهرة عند ابن سيده وغيره في هذه الأحرف الثلاثة بالمجاورة؛ فإنّه عند مجاورة السين والصاد بعض أحرف التفخيم (الطاء، والغين، والقاف، والخاء) فإنّ ذلك يؤدي إلى الإبدال.

---

[1] المخصص، 180/4.

[2] انظر: البحر المحيط، أبو حيان، 11/1، والكشاف للزمخشري، 15/1، والمحرر الوجيز، ابن عطية، 74/1، إتحاف فضلاء البشر، البنا الدمياطي،163.

يقول الدكتور: عبد الصبور شاهين: (والتأمل في هذه الأمثلة التي قلبت فيها الصاد زايا يجد أنّها جميعا تخضع لقانون المماثلة، الأمر الذي جوز أن يجري مثله على لسان فرد واحد، كما يمكن أن يجري على لسان أفراد ينتمون إلى بطون مختلفة في قبيلة واحدة، أو في قبائل مختلفة أيضا).[1]

ولو رجعنا إلى توجيه هذا الاختلاف القرائي في كتب التفسير لا نكاد نجد أنّ هناك تباينا كبيرا بين معاني القراءات الثلاث فهي كلّها تؤدي معنى واحدا وهو الطريق أو ما يصبّ في قالبه من معان مقاربة.

إبدال الكاف قافاً: جاء في المخصص: (كشطت عنه جلده وقشطت. قال: وقريش تقول: كشطت، وقيس وتميم وأسد تقول: قشطت، وفي مصحف عبد الله بن مسعود قُشِطَت).[2]

القراءة المتواترة (كشطت) بالقاف، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن مسعود، وعامر بن شراحيل الشعبي، وإبراهيم بن يزيد النخعي (قشطت) بالقاف وهي قراءة شاذة[3].

أورد ابن سيده هذه القراءة في معرض ذكره للمواضع التي تبدل فيها الكاف من القاف، وهي كثيرة نحو: قحط القطار، وكحط، وقهرت الرجل أقهره، وكهرته أكهره، وكافور، وقافور، ولقد اختلف اللغويون في كون القاف بدلا من الكاف في هذه القراءة أم أنّها ليست بدلا، وعلى حسب شرط ابن سيده فإنّها لا تعدّ بدلا؛ لأنّ اللغتين تنسبان لأقوام مختلفين فلغة الكاف لقريش ولغة القاف لقيس وتميم وأسد.

وبالمقارنة بين الحرفين يتضح سبب المبادلة بينهما:

حرف القاف: لهوي، شديد، مهموس، مفخم.

حرف الكاف: طبقي، شديد، مهموس، مرقق.

بالإضافة إلى أنّ مخرج الحرفين واحد وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، فحرف الكاف والقاف تجمعهما صفة الشدّة والهمس.**قراءة (تقهر، تكهر) في قوله عز وجل: "فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ".**قرأ الجمهور (فلا تقهر) بالقاف، وقرأ ابن مسعود وإبراهيم التيمي، والأشهب العقيلي فلا (تكهر) بالكاف[4] .وقد ذكر ابن سيده هذه القراءة في باب الإبدال خلال عرضه للكلمات التي وقع فيها الإبدال فقال: (وقَهَرْتُ الرَّجُل أَقْهَرُه وكَهَرْته أَكْهَرُه، وسمعتُ بعض غَنْمِ بن دودان يَقُول فَلَا تَكْهَر)[5].ويعدّ هذا التغاير بين الكاف والقاف في هذه القراءة كسابقه في التغاير بين (كشطت وقشطت) إذا هي من قبيل اختلاف اللغات فليس هذا ممّا يعد إبدالا، كما يلاحظ على القراءتين (قُشِطت، تَكْهَر) أنّ كليهما تنسبان إلى عبد الله ابن مسعود –رضي الله عنه-، وهو من قبيلة تميم التي تبدل الكاف قافاً، إلاّ أنّ إحداهما قرأها ابن مسعود بالقاف وقرأ الأخرى بالكاف، وذكر ابن سيده أنّ بعضاً من بني غنم بن وردان سمعهم يقرءون بها وهم من بني أسد بن خزيمة، هاجر أغلبهم إلى غزة ثم إلى الأندلس، ومنهم زينب بنت جحش زوجة النبي[6]، رغم أن ابن سيده قد نصّ على أنّ قشطت لغة بني أسد، فيلاحظ تداخل اللغات تداخلاً

---

[1] أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي:296

[2] المخصص، 186/4

[3] انظر البحر المحيط، 417/10، الكشاف، الزمخشري،709/4، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 235/19.

[4]) انظر: معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط:1، 1422هـ، 2002م، 448/10.

[5]) المخصص، 186/4.

[6]) انظر:جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1983/1403، ص:14.

يُفهم منه –في رأي الباحث- أنّ الإبدال لا يكون ظاهرة مطّردة في الأحرف وإنّما هو متعلّق بالألفاظ والكلمات وهو ما يوضّحه هذا التفصيل:

قريش: كُشِطَت – تَقْهَر

أسد وتميم: قُشِطَت - تَكْهَر

ما كان على حرفين وليس بدلاً:

وسبب كون هذا التغاير الصوتي ليس بدلا لمخالفته شروط البدل أمّا عند ابن سيده أو غيره من أهل اللغة، ومن ذلك ما نصّ ابن سيده على عدم بدليته في باب مفرد، أو ما ورد عرضا في الكتاب.

إبدال الحاء خاء:ورد في المخصص: (صاحب العيّن، أغفى الرجل وغفى غفية؛ نعس، وقال، في قوله تعالى "**إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلاً** " [المزمل:7]قيل معناه فراغ للنوم وقد يكون السبح بالليل، علي: وقريء سبخا طويلا بالخاء يعني النوم).[1](سبحا) بالحاء المهملة قراءة متواترة وهي قراءة الجمهور، وقرأ (سبخا) بالخاء المعجمة يحيى بن يعمر، وعكرمة، والضحاك،وعلي، وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ وهي قراءة شاذة.[2]

وقد ذكر ابن سيده هذه القراءة في موضع آخر من كتابه تحت عنوان (باب ما يجيء بحرفين وليس بدلا)، ولعل السبب في كونه ليس بدلا عند ابن سيده هو مخالفته للشروط؛ وذلك لاختلاف معنى القراءتين فقال في ذلك: (سبحا فراغا وسبخا نوما ويقال: قد سبح الجراد وسبخ إذا حار وانكسر).[3]

فمن الناحية الصوتية فشروط الإبدال متوفرة وذلك لأنّ بين الحاء والخاء اتحاد في المخرج، أمّا من ناحية المعنى فإنّ معناهما متقارب عند بعض اللغويين ويختلف عند البعض، قال القرطبي: (والسبح:الجري والدوران، ومنه السابح في الماء؛ لتقلبه بيديه ورجليه، وفرس سابح: شديد الجري ؛ قال امرؤ القيس:

مسح إذا ما السابحات على الونى... أثرن الغبار بالكديد المركل

وقيل:السبح الفراغ؛ أي إن لك فراغا للحاجات بالنهار. وقيل: **(إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلاً)**[المزمل:7]؛ أي نوما، والتسبح التمدد، ذكره الخليل، وعن ابن عباس وعطاء: "سبحا طويلا" يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، وقال الزجاج: إن فاتك في الليل، شيء فلك في النهار فراغ الاستدراك.

وقرأ يحيى بن يعمر وأبو وائل "سبخا" بالخاء المعجمة. قال المهدوي: ومعناه النوم روى ذلك عن القارئين بهذه القراءة. وقيل: معناه الخفة والسعة والاستراحة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على سارق ردائها: "لا تسبخي عنه"[4] بدعائك عليه. أي لا تخففي عنه إثمه ؛ قال الشاعر:

فسبخ عليك الهم واعلم بأنّه... إذا قدر الرحمن شيئا فكائن

---

[1] المخصص، 495/1.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، 42/19، البحر المحيط، أبو حيان، 315/10، مفاتح الغيب،فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية – بيروت،ط:1، 1421هـ - 2000 م،156/30.

[3] المخصص، 185/4.

[4]) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تح: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:1، 1430 هـ - 2009 م، رقم:4909.

الأصمعي: يقال سبخ الله عنك الحمى أي خففها. وسبخ الحر: فتر وخف. والتسبيخ النوم الشديد. والتسبيخ أيضا توسيع القطن والكتان والصوف وتنفيشها ؛ يقال للمرأة: سبخي قطنك. والسبيخ من القطن ما يسبخ بعد الندف، أي يلف لتغزله المرأة، والقطعة منه سبيخة، وكذلك من الصوف والوبر)[1].

إبدال الفاء ثاء:والفوم والثوم وفي قراءة ابن مسعود: (وَثُومِهَا وَعَدَسِهَا)[2] نسب ابن سيده هذه القراءة إلى ابن مسعود وهي عند غيره لابن عباس كذلك[3]، وهي قراءة شاذة.وقد أدرج ابن سيده هذا التغاير في باب ما لا يعدّ بدلا، وذلك ربّما لتغاير المعنى عنده، وهو ما يخلّ بشروط البدل، ويؤكد ذلك ما ذكره في معجمه (المحكم والمحيط) حيث قال: الفوم الزرع والحنطة وأزد السراة يسمون السنبل فوما الواحدة فومة قال:(وقالَ رَبِيئُهُمْ لَمَّا أَتانا... بِكَفِّهِ فُومَةٌ أو فُومتانِ)وقيل الفوم لغة في الثوم أراه على البدل قال ابن جني: ذهب بعض أهل التفسير في قوله عز وجل "وَفُومِهَا" إلى أنّه أراد الثوم فالفاء على هذا عنده بدل من الثاء قال والصواب عندنا أن الفوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال فومت الخبز إذا خبزته وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء).[4]فيلاحظ أنّ أساس اعتبار هذا التغاير بدلا أم لا هو المعنى.قال القرطبي: (اختلف في الفوم فقيل هو الثوم لأنّه المشاكل للبصل، رواه جويبر عن الضحاك والثاء تبدل من الفاء كما قالوا: مغافير ومغاثير. وجدث وجدف للقبر، وقال أمية بن أبي الصلت:

كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة... فيها الفراديس والفومان والبصل

الفراديس: واحدها فرديس. وكرم مفردس أي معرش. وقال حسان:

وأنتم أناس لئام الأصول... طعامكم الفوم والحوقل

يعني الثوم والبصل وهو قول الكسائي والنضر بن شميل. وقيل: الفوم الحنطة، روي عن ابن عباس أيضا وأكثر المفسرين واختاره النحاس قال: وهو أولى ومن قال به أعلى وأسانيده صحاح، وليس جويبر بنظير لروايته وإن كان الكسائي والفراء قد اختارا القول الأول لإبدال العرب الفاء من الثاء والإبدال لا يقاس عليه وليس ذلك بكثير في كلام العرب)[5].

إبدال الجيم حاء:جاء في المخصص: (جست القوم جوسا؛ تخللتهم ومنه قوله تعالى: (فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا)[الإسراء:5]وقرأ أبو السمّال فحاسوا خلال الديار وهو في معنى جاسوا).[6]

قراءة الجمهور (فجاسوا) بالجيم المعجمة، وأما قراءة الحاء فهي قراءة شاذة نسبت إلى أبي السمّال غير أنّ هذه النسبة خطّأها الزركشي وذكر أنّ الصواب هو أنّها منسوبة إلى أبي السوار الغنوي، كما أنّ الزركشي اعتبر هذا التغاير من قبيل الإبدال، فجاء في البرهان: (من كلامهمّ إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض يقولون: مدحه ومدهه وهو كثير ألف فيه المصنفون وجعل منه ابن فارس قوله تعالى: (فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ

---

[1] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 42/19.

[2] المخصص، 191/41.

[3] انظر البحر المحيط، أبو حيان، 376/1.

[4] المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، 546/10.

[5] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 425/1.

[6] المخصص، 497/1.

ٱلۡعَظِيمِ)[الشعراء:63]، فقال: فالراء واللام متعاقبان، كما تقول العرب: فلق الصبح وفرقه. قال: وذكر عن الخليل- ولم أسمعه سماعا - أنّه قال في قوله تعالى: (فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ) [الإسراء:5] إنما أراد فحاسوا فقامت الجيم مقام الحاء، قال ابن فارس: وما أحسب الخليل قال هذا ولا أحقه عنه، قلت: ذكر ابن جنى في "المحتسب": أنّها قراءة أبو السمال، وقال: قال أبو زيد - أو غيره: قلت له: إنما هو [فجاسوا] فقال: حاسوا وجاسوا واحد. وهذا يدل على أن بعض القراء يتخير بلا رواية ولذلك نظائر. انتهى، وهذا الذي قاله ابن جنى غير مستقيم ولا يحلّ لأحد أن يقرأ إلاّ بالرواية. وقوله:"إنهما بمعنى واحد" لا يوجب القراءة بغير الرواية كما ظنه أبو الفتح، وقائل ذلك والقارىء به هو أبو السوار الغنوى لا أبو السمال فاعلم ذلك، كذلك أسنده الحافظ أبو عمرو الداني، فقال: حدثنا المازني قال: سألت أبا السوار الغنوى، فقرأ: [فحاسوا] بالحاء غير الجيم فقلت: إنما هو [فجاسوا] قال: حاسوا وجاسوا واحد، ويعنى أن اللفظين بمعنى واحد وإن كان أراد أن القراءة بذلك تجوز في الصلاة والغرض كما جازت بالأولى فقد غلط في ذلك وأساء). غير أنّ اعتبار الزركشي لهذا التغاير الصوتي إبدالا يخالف المجمع عليه من أهل اللغة من كونه لا يعدو أن يكون ترادفاً فقط لا إبدالا؛ وذلك أن الجيم والحاء لا تربطهما علاقة صوتية؛ فالجيم حرف شجري من وسط اللسان وهو حرف مجهور شديد بينما الحاء حرف حلقي رخو مهموس.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث ومن خلال ما سبق بيانه فإنّنا نخلص إلى النتائج التالية:

– احتواء اللغة العربية على كثير من اللهجات، والدراسة التي بين أيدينا تبيّن أن القراءات القرآنية تعتبر وعاء من الأهمية بمكان كان سببا في الحفاظ على هذه اللهجات، الشيء الذي جعلها موردا يلجأ إليه المعجميون للاستدلال، والاستشهاد.

– مساهمة القراءات القرآنية في المحافظة على الصور المتعددة للإبدال، ونظرا لكون القراءات -في شطرها المتواتر- هي قرآن متعبّد بتلاوته فإنّ ابن سيده وغيره من المعجميين لم يغفلوا هذا الجانب، فكانت القراءات القرآنية حاضرة لإثبات هذه الظاهرة، وبيان مختلف التغايرات.

– أهمية مراعاة شروط الإبدال، وعدم اعتبار كلّ تغاير صوتي بين حرفين في لفظة ما إبدالاً، وهي شروط اختُلف في تحديدها بين أهل اللغة، الأمر الذي الاختلاف في بعض الكلمات القرائية في كونها إبدالا أم لا.

– الأصل في القراءات القرآنية -ولو كانت شاذة – حتّى تكون صالحة للاستشهاد على ظاهرة من الظواهر اللغوية هو السّماع؛ فقد رأينا كيف رُدَّت قراءة الأصمعي (الصراط) بالزاي الخالصة، واعتبرت مردودة لغويا بحجة أن الأصمعي لم يسمعها من أبي عمرو.